مجلة جامعة الخليل للبحوث
المجلد (3)، العدد (1)، ص (43-62)، 2007



الصفحة الإلكترونية للمجلة
http://www.hebron.edu/journal

المبني للمجهول في القرآن الكريم
"بحث في النحو والدلالة"

زاهر محمد حنني*
جامعة القدس المفتوحة، منطقة قلقيلية التعليميه-فلسطين

الملخـــص:

يناقش هذا البحث في المبني للمجهول في القرآن الكريم:حيث يختص في النحو والدلالة ، يقع هذا البحث في قسمين ومقدمة وخاتمة ، تناول القسم الأول الحديث عن الفعل المبني للمجهول ؛ أصوله وما يسند اليه ، حيث تحدث عن أصول بناء الفعل للمجهول من الناحية النحوية ، وعن ما يسند إليه الفعل المبني للمجهول من المفعول به والمصدر والجار والمجرور والظرف ، وتحدث عن صور نائب الفاعل في القرآن الكريم والوقوف عند المفعول به ثم شبه الجملة ثم المصدر.

أما القسم الثاني فقد تحدث عن أغراض بناء الفعل للمجهول في القرآن الكريم التي كانت على النحو الآتي : الإيجاز ، العلم بالفاعل ، تعظيم الفاعل ، مناسبة ما تقدمه ، الاستعلاء على الفاعل أو تحقيره ، لأن الفاعل مجهول فعلا ، أغراض أخرى من مثل مناسبة الفواصل والموازنة بين الجمل.

Abstract :

This is a research concerning the structure of the passive verb in the Holy Quran, it has been presented in two chapters, an introduction and a conclusion. The first chapter negotiated the passive verb, its origins and the related items, in which it discussed the related items of the structure of the passive verbs grammatically and the related items of the passive verb including the object, the gerund, preposition, the nouns following them and adverbs, more-

* بريد الباحث الإلكتروني : zhanani@qou.edu

over it negotiated the Holy Quran patterns of the words that stands after the subject in the Holy Quran with special attention on the object, sub sentence and the gerund.
The second part concentrated on the objectives of the structure of the passive verb in the Holy Quran which have divided into the following patterns: Summarization, Knowing the subject, Glorifying the subject,The suitability of what is represented, The humiliation of the subject, When the subject is already unknown, and Other objectives like commas and parallel sentences

مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الذي اصطفاه؛ معلمنا محمد بن عبد الله، النبي العربي الأمي، وسلم وبارك على آله وأصحابه ومن والاه، أما بعد:

فقد عكف أكثر علماء العربية على بحث علوم القرآن المختلفة، وأوجه إعجازه، ونظروا في جوانبه المتداخلة، وبذلوا في ذلك جهودا مضنية، فاستطاعوا أن يكشفوا عن كثير من أسرار عظمته بعون الله تعالى وإرادته سبحانه، ولقد بقيت سنوات طويلة أتوجس أحيانا من الخوض في هذا المضمار، وأقدم في أوقات أخرى، فدخلته متعلما، تعرفت إلى وجوه كثيرة من صفحات طويلة فتح الله تعالى على علمائنا الأفاضل فيها (رضي الله عنهم جميعا). وبدأت أخطو أولى خطواتي خوضا مترددا في البداية، الى أن أعانني الله تعالى في هذا البحث في (المبني للمجهول في القرآن الكريم: بحث في النحو والدلالة). تغلبت من خلاله على كل المعوقات وأنجزته بهذه الصورة، بعد أن بقيت سنوات أدرس وأبحث وأصل وأتعلم وأراجع وأخطئ وأتعلم وأصحح، إلى أن خرج على هذه الصورة التي ارتضيتها.

اعتمدت في هذه الدراسة على منهج التحليل التطبيقي الذي يقوم على الرصد المباشر، مستفيدا من الدراسات والبحوث السابقة، خصوصا تلك التي أصلت للنحو العربي وعلى رأسها ألفية ابن مالك وشروحها. ومن أبرز ملامح هذه المنهجية أنها تصلح للتوقف عند كل آية قرآنية كريمة بخصوصية موضعها وعظمة بلاغتها.

وعليه كان تقسيم البحث إلى قسمين للضرورة؛ تناول القسم الأول منها تأصيل الفعل المبني للمجهول نحويا من حيث: أصول بناء الفعل للمجهول، وما يسند إليه المبني للمجهول، ثم صور نائب الفاعل في القرآن الكريم.

وفي القسم الثاني تناول البحث أغراض بناء الفعل للمجهول في القرآن الكريم على النحو الآتي: الإيجاز، العلم بالفاعل. تعظيم الفاعل، مناسبة ما تقدمه، الاستعلاء على الفاعل أو تحقيره، لأن الفاعل مجهول فعلا، أغراض أخرى .

عسى أن يرضى الله تعالى بها عنا، إنه سميع مجيب الدعاء. وعسى أن يكون فاتحة لأبحاث أخرى إن شاء الله .

أولا: الفعل المبني للمجهول

1. أصول بناء الفعل للمجهول :

الفعل المبني للمجهول هو الفعل الذي لم يسم فاعله* ، فأقيم المفعول مقامه وأسند إليه .ولهذا يسمى الفعل المبني للمجهول ، كما يطلق عليه ما لم يسم فاعله، لذا ينوب مفعوله عن فاعله ، يقول ابن مالك[1] :

ينوبُ مفعولٌ به عن فـاعلِ

فيما له كنيلَ خير نـائلِ

وللفعل المبني للمجهول طريقة مخصوصة في البناء، تختلف عن طريقة بناء الفعل المبني للمعلوم ، حيث يبنى الفعل الماضي الصحيح العين للمجهول بضم أوله وكسر ما قبل الآخر ، فنقول : ضُرِبَ ، أُخِذَ ، شُرِبَ ، دُحرِجَ ، جُحفِلَ .... وفي تعليل ذلك يقول ابن الانباري : إنما ضموا الأول ليكون دلالة على المحذوف الذي هو الفاعل ، إذ كان من علاماته ، وإنما كسروا الثاني – ويقصد في الثلاثي – لأنهم لما حذفوا الفاعل الذي لا يجوز حذفه ، أرادوا أن يصوغوه على بناء لا يشركه فيه شيء من الأبنية ، فبنوه على هذه الصيغة ، فكسروا الثاني ، لأنهم لو ضموه لكان على وزن طُنُب ، و جُمُل ، ولو فتحوه لكان على وزن : نُفَر ، وصُرَد ، ولو أسكنوه لكان على وزن : قُلْب ، وقُفْل ، فلم يبق إلا الكسر فحركوه به»[2] وإذا كان الفعل الماضي مبدوءاً بتاء وجب ضم الحرف الثاني مع الأول ، فنقول في تبارز وتقاتل : سواء أكان على وزن تفاعل أم تفعل : تُبُورِزَ و تُقُوتِلَ، كما نقول في تكلم وتسلم : تُكُلِمَ ، وتُسُلِمَ ، أما إذا كان الماضي مبدوءاً بألف الوصل فيجب ضم الحرف الثالث مع الأول ، فنقول في استخرج واستعمل وانتظر واعتمد : استُخرِجَ ، واستُعمِلَ ، وانتُظِرَ ، واعتُمِدَ [3]. وفي ذلك يقول ابن مالك[4] :

فأول الفعل اضممن ، والمتصل

بالآخر اكسر في مضيٍ ،كوُصل

والثاني التالي "تا" المطاوعة

كالأول اجعله بلا منـازعه

وثالث الذي بهمز الوصلِ

كالأول اجعلنه كاستُحلي

وأما إذا كان الفعل الماضي ثلاثياً أجوف مثل شاخ ذاع ،قال ... ، فللعرب في بنائه ثلاث لهجات ؛ إما كسر الفاء وقلب الألف ياء خالصة ، فنقول : شيخ و ذيع ، وقيل. وإما ضم الفاء وقلب الألف واواً خالصة ، فنقول : شُوخ وذُوع وقُول . وإما الإشمام وهذا النطق بضمة ممالة نحو الكسرة وليس في العربية حرف كتابي يمثل هذا النطق[5]. وهذا الأمر ليس مطلقاً ففيه ضابط لا بد من الأخذ به وهو أن "كل واحد من الثلاثة جائز بشرط ألا يوقع في لبس وإلا وجب العدول عنه إلى ضبط آخر لا لبس فيه" [6].

أما في بناء الثلاثي المضعف الفاء مثل: سَدّ، شَدّ، مَدّ، قَدّ، فقد أوجب الجمهور ضم فائه نحو: سُدَّ شُدَّ، مُدَّ قُدَّ، وقال بعض الكوفيين : إن الكسر جائز، وهي لغة بني ضبة وبعض تميم[7]، وجوز ابن مالك الإشمام أيضاً[8] :

واكسر أو اشمم "فا " ثلاثي أعل

عيناً ، وضُمَّ جا ، كبوعَ : فاحتمل

وإن بشكل خيفَ لبسٌ يجتنب

وما لباع قد يُرَى لنحو حب [9]

وقال المهاباذي :

من أشمَّ في (قيل) و (بيع) أشمَّ هنا [10].

وتجوز الأوجه الثلاثة أيضاً في الحرف الثالث الأصلي من الماضي المعل العين، أو إذا كانا صحيحين مضعفي اللام إذا كان على وزن انفعل أو افتعل، ويلاحظ هنا أن حركة الحرف الأول (همزة الوصل) لا تلزم صورة واحدة في ضبطها ، وإنما تساير حركة الحرف الثالث ، فضمة الثالث تقلبه إلى واو وكسرته تقلبه إلى ياء ،وفي هذا يقول ابن مالك [11]:

وما لفا باع لما العين تلي

في اختار ، وانقاد ، وشبه ينجلي

ويُمَثل لذلك ب: انقاد ،انهال، اختار، اجتاز، انصب انجر، امتد، اشتد، فتبنى للمجهول على التوالي: انقود- انقيد، انهول – انهيل، اختور – اختير، اجتوز – اجتيز ، انصُبَّ – انصبَّ، انجُرَّ – انجرَّ، امتُدَّ – امتدَّ، اشتُدَّ – اشتدَّ [12] .

أما الفعل المضارع فيبنى للمجهول بضم أوله وفتح ما قبل آخره في جميع حالاته ظاهراً أو مقدراً لعلة تمنع ظهوره . يقول ابن مالك [13] :

واجعله من مضارع منفتحاً

كينتحي ؛ المقول فيه : يُنتحَى

فنقول في غير ينتحي ، يُؤكَل ، يُشرَب ، يُضرَب ، تُنال ،تُصاب ، يُصام ، يُزار ... .

أما مالا يجوز أن يبنى للمجهول فهو فعل الأمر ، لأن الأمر في العادة يوجه إلى مخصوص أو محدد أو مخاطب ، ولا يجوز أن يكون هذا مجهولاً ، لأن المجهول بطبيعته غير مخصوص ولا محدد وبالتأكيد ليس مخاطباً ، لأنه لو كان كذلك لنُفيت صفة المجهول عنه وأصبح معلوماً .

كذلك فإنه لا يجوز أن يبنى الفعل اللازم للمفعول به [14]، كما لا يجوز بناء الفعل الجامد للمجهول أيضاً [15].

أما الفعل الناقص فلا يبنى للمجهول إلا إذا أفاد أو أمن اللبس فيه ، وعلى الرغم من صحة بناء هذه الأفعال للمجهول فمن المستحسن عدم بنائها للمجهول ؛ مسايرة للأساليب العليا ،وأحكام البلاغة التي ترى فيها ثقلاً في النطق ، وقبحاً في الجرس [16] ويقصد بذلك (كان وكاد وأخواتهما) لأن (ليس وعسى) أفعال جامدة .

وقبل مغادرة الحديث عن أصول البناء للمجهول لا بد من الحديث عما ورد عن العرب من وجود أفعال ماضية ملازمة للبناء للمجهول سماعاً عن أكثر قبائلهم . وهي الأفعال التي يعتبرها اللغويون مبنية للمجهول لفظاً لا حقيقة . ويعربون المرفوع بها فاعلاً وليس نائب فاعل . مثل (هُزِلَ ، دُهِشَ ، شُدِهَ ،شُغِفَ ب ، أُولِعَ به ، أُهتر به ، أُستهتر به ، أُغرِيَ به ، أُغرم به ، أُهرع ، نُتِجَ ، عُنِيَ ب ، حُمَّ ، أُغمي عليه ، فُلج ، امتُقِعَ لونه ، زُهِيَ ،...) وبعضها سمع عن العرب أنه يأتي للمضارع مثل (يُهرَع ، يُعنى ، يُولع ، يُستَهتَر ...) .

يشير عباس حسن إلى ما جاء في (فصيح ثعلب) ونحوه من التصريح القاطع بأن هذه الأفعال لا تبنى للمعلوم ، ويضيف: "وأنكر بعض المحققين-كابن برّيّ –ما قاله ثعلب وغيره من اللغويين والنحاة وحجة ابن برّيّ في الإنكار أن "ثعلباً" ومن معه لم يعلموا ما سجله ابن دَرَستَوَيه وردده؛ ونصه :"(عامة أهل اللغة يزعمون أن هذا الباب لا يكون إلا مضموم الاول ، لأن هذه الأفعال كلها مفتوحة الأوائل في الماضي ؛ فإذا لم يسمَّ فاعلوها فهي كلها مضمومة الأوائل ، ولم نخص بذلك بعضها دون بعض وقد بينا ذلك بعلته وقياسه ؛ فيجوز : عُنيتُ بأمرك وعناني أمرك – وشُغلتُ بأمرك ،وشغلني أمرك –وشُدهتُ بأمرك ،وشَدَهني أمرك ...) هذا ما نقله " ابن برّيّ "ويضيف حسن " ولا شك في أن رأي " ابن بري « ومن معه من المحققين هو السديد ، والأخذ به يؤدي إلى إلغاء تلك الأحكام الخاصة ... ويرد لتلك الأفعال اعتبارها وحقها ، ويجعل شأنها شأن غيرها من باقي الأفعال التي يصح أن تبنى للمعلوم حيناً ، وللمجهول حيناً آخر ، على حسب مقتضيات المعنى[17].

2. ما يسند إليه المبني للمجهول:

لا بد لكل فعل من أن يسند إلى فاعل أو إلى ما يقوم مقامه . ولما كان المبني للمعلوم يسند إلى فاعله ، فلا بد للمبني للمجهول بعد حذف الفاعل من أن يقام مقامه ما يسند إليه الفعل " لئلا يبقى حديثاً عن غير محدث عنه "[18].

"ولما كان الفاعل لا يتعدد للفعل الواحد فكذلك نائب الفاعل"[19] ،وقد أجمع النحاة على أن ما ينوب عن الفاعل واحد من أربعة : إما المفعول به :- فإن كان الفعل يتعدى إلى مفعول واحد كان هو نائب الفاعل ، أما إذا كان يتعدى إلى مفعولين ، فإن النحاة متفقون على جواز إقامة المفعول الأول ، أما المفعول الثاني فقد منع بعض النحاة جواز جعله نائب فاعل منعاً مطلقاً وأجازه آخرون بشرط ألا يؤدي ذلك إلى غموض وألا يكون المفعول الثاني جملة ولا ظرفاً ، أما إذا كان الفعل متعدياً إلى ثلاثة مفاعيل فالأغلب أن يقوم المفعول الأول نائب فاعل مثل : أُعلِمَ زَيدٌ عمراً كريماً . وعند كثير من النحاة أنه يصح أن تجعل المفعول الثاني أو الثالث نائباً عن الفاعل بشرط عدم الغموض [20] .وإما المصدر، وإما الجار والمجرور وإما الظرف .

أما إذا اجتمع المفعول به مع واحدٍ من الثلاثة الأخرى فإن الأولى أن يكون المفعول به هو نائب الفاعل . أما إذا اجتمع ظرف الزمان وظرف المكان والمصدر والجار والمجرور، فيرى الانباري أن الإنسان مخير فيها كلها ، "أيها شئت أقمت مقام الفاعل ، وزعم بعضهم أن الأحسن أن تقيم الاسم المجرور مقام الفاعل ، لأنه لو لم يكن حرف الجر لم تقم مقام الفاعل غيره"[21] .ويوضح ذلك محمد محيي الدين على نحو آخر ؛ "قال الجمهور : تجوز نيابة الجار والمجرور عن الفاعل ، وقال جماعة من النحاة منهم ابن درستويه ، والسهيلي ، وأبو علي الرندي : لا ينوب الجار والمجرور عن الفاعل ، وكل موضع زعمتم أن الجار والمجرور نائب عن الفاعل فيه فإن النائب على الحقيقة هو ضمير مستتر فيه يعود إلى مصدر الفعل" [22] . وكان قبل ذلك قد أشار إلى أن إسناد الفعل المبني للمجهول إلى غير ما كان مفعولاً به من الظرف الزماني أو المكاني ومن الجار والمجرور والمصدر فمجاز ، وذلك لأنهم يعرفون الحقيقة العقلية بأنها "إسناد الفعل أو ما هو بمعناه إلى ما بني له " [23] . ويمكن أن نلخص صور نائب الفاعل في الجملة كما يأتي :

1. نائب الفاعل بعد إلا الملغاة مثل : " لا يُحسد إلا ذو النعمة " / ذو .
2. نائب الفاعل مصدر مؤول من أن والفعل في كلام مثبت مثل: "يُنتظر أن يزيد الإنتاج" / أن يزيد .
3.نائب الفاعل مصدر مؤول من أن والفعل في كلام منفي مثل :"يستحسن ألا تحضر هذه المناقشة" / ألا تحضر .
4. نائب الفاعل مصدر مؤول من أنّ ومعموليها في كلام مثبت مثل : " يؤخذ عليك أنك متشائم " / أنك متشائم .
5. نائب الفاعل مصدر مؤول من أنّ ومعموليها في كلام منفي مثل:
"أُذيع أن الهلال لم يره الراصدون" / أن الهلال لم يره الراصدون .
6.نائب الفاعل وقع بعد أداة تختص بالدخول على الأفعال مثل : " إذا العصفور حُبِسَ كف عن التغريد" / العصفور نائب فاعل لفعل محذوف ويفسره المذكور ومثل :- "لو الأطفال المشردون عُلّموا لزال خطرهم" / الأطفال نائب فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور .
ومثل :- "إن الحرية أُهدرت ..." / الحرية نائب فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور .
7. نائب الفاعل جار ومجرور لأن الفعل لازم مثل:

"في أوقات الأزمات يستغنى عن الكماليات " /عن الكماليات .

8. نائب الفاعل ظرف لأن الفعل لازم مثل :–" سُهِرَت ليلةُ السفر" / ليلة .

9. نائب الفاعل مصدر الفعل لأن الفعل لازم مثل :– "احتُفِلَ احتفالٌ باهر" / احتفال .

10. نائب الفاعل بعد حرف جر زائد مثل :–" لم يُقَرَّر من شيء جديد" / شيء [24].

3. صور نائب الفاعل في القرآن الكريم:

ولا بد من التوضيح بداية أن هذه الزاوية تتناول صور نائب الفاعل للفعل المبني للمجهول حصرا ، ولا تبحث في صور نائب الفاعل لاسم المفعول الذي يعمل عمل فعله المبني للمجهول عندما يكون معرفا أو دالا على حال أو استقبال أو معتمدا على نفي أو استفهام أو نداء أو عندما يكون خبرا عن مبتدأ أو حالا أو صفة ، كما هو معروف . ولا في صور نائب الفاعل للمصدر المؤول المسبوك في أصله من " أن " والفعل المبني للمجهول (في رأي).

أ- المفعول به :

وهو أكثر صور نائب الفاعل حضورا في القرآن الكريم ، فإذا قلنا ان نائب الفاعل أسمى بكثير من أن يكون هو المفعول به الذي انتقل إلى رتبة نائب فاعل عندما بني الفعل للمجهول يكون للبناء للمجهول خصوصية في الأداء ، وتأثير في الدلالة ، وبعد في المعنى البلاغي ، فبناء الفعل للمعلوم يتخذ فاعلا واحدا محددا لا غير في حين يكون فاعل الفعل المبني للمجهول غير محدد بدقة لا يتعداها ، ولهذا يكون بناء الفعل للمجهول من أرقى صور البيان والإعجاز في القرآن الكريم وأعلى بكثير مما لو كان الفاعل مذكورا صراحة . ومثال ذلك __ والأمثلة كثيرة __ قوله تعالى : "وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَد كُذِّبَت رُسُلٌ من قَبْلِكَ وَإِلى الله تُرْجَعُ الأُمُورُ " [25] والدلالات البلاغية للآية كثيرة ؛ فالمفعول به الذي أصبح نائب فاعل جاء نكرة لغرض التكثير أي (رسل كثيرة)[26] ،كذلك انظر إلى الفرق والدقة في الأداء البلاغي والمعنوي في قوله تعالى : " وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَد كَذَّبَت قَبْلَهُم قَوْمُ نوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إبراهيمَ وَقَوْمُ لُوط * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُم فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ " [27] فالفرق يتضح جلياً بين بناء الفعل للمعلوم (كَذَّبت) وبنائه للمجهول (وكُذِّبَ) ففي المعلوم الذين كذبوا محدودون هم قوم نوح (وانظر إلى دلالة تأنيث كَذَّبت المرتبطة بالمعنى) وقوم هود (عاد) وقوم صالح (ثمود) وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب (أصحاب مدين) . أما في البناء للمجهول فقد اختلفت الدلالة فالذين كذبوا موسى هم من غير قومه (بني إسرائيل) وهم (القبط) وهم غير قومه [28] ، لذلك اقتضى الأداء البلاغي المعجز البناء للمجهول لاختلاف الأداء المعنوي . كذلك المسند إليه عندما كان مفعولاً به وعندما صار نائب فاعل ، فقد اقتضى الأداء المعجز أن يبنى للمعلوم عندما أراد –سبحانه وتعالى– أن يبين مقام النعمة والتفضل على الانسان فأسند الفعل إلى ذاته ، فقال تعالى : "لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقويم" [29] فأسند "الخلق إلى نفسه ولم يبنه للمجهول وذلك أنه في موطن بيان عظيم قدرته وحسن فعله وبديع صنعه " [30] وقد أسند الخلق إلى نفسه . سبحانه . لأن المقام مقام بيان منهج للإنسان فأراد أن يبين أن واضع المنهج للإنسان هو خالق الإنسان ولا أحد غيره أعلم بما يصلح له وما هو أنسب له ، في حين قال –تعالى– في موضع آخر : " وَخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيْفَاً " [31] وقال تعالى: "خُلِقَ الإنْسَانُ من عَجَلٍ" [32] وقال تعالى : "إِنَّ الإنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعَاً *إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعَا* وإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعَا"[33] ببناء هذه

الأفعال للمجهول لما كان القصد بيان نقص الإنسان وضعفه. ويرى بعضهم جواز أن تكون جملة مقول القول في محل نائب فاعل للفعل المبني للمجهول ، كما في قوله تعالى: "وَإِذَا قِيْلَ لَهُم:لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ "[34] لأنها تكون بمنزلة المفرد ، بسبب قصد لفظها ، فيجوز أن تكون جملة (لا تفسدوا)، هي نائب الفاعل مرفوعة بضمة مقدرة على آخرها ، منع من ظهورها الحكاية .[35] وكما في قوله تعالى : "وَقِيْلَ لَهُم: أَيْنَ مَا كُنْتُم تَعبُدُون "[36].

ب- الجار والمجرور (شبه الجملة):

أشرنا الى الآراء التي ترى أنه يجوز وقوع شبه الجملة (الجار والمجرور) نائبا عن الفاعل ، والى الآراء التي تقول أن شبه الجملة (الجار والمجرور) لا تقع نائب فاعل البتة ، وإنما في هذه الحالة يكون نائب الفاعل ضميرا مستترا ، وهناك من يرى أن الجار والمجرور ينوبان عن الفاعل حتى مع وجود مفعول به [37].

قال تعالى : "وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيْهِم"[38] وقعت شبه الجملة (الجار والمجرور) (في أيديهم) نائبا عن الفاعل ، والجملة فيها جوانب بلاغية أخرى ، منها وقوعها كناية عن صفة (الندم) والتقدير سقط الندم في أيديهم [39]. ويمكن أن نمثل أيضا على هذا من قوله تعالى :"لِيجْزى قَوْماً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْن"[40] على قراءة أبي جعفر ، الأمر الذي جعل الكوفيين يجوزون نيابة غير المفعول به عن الفاعل مع وجود المفعول به . في حين اشترط الأخفش تقدم نائب الفاعل . فقد وقعت على هذا شبه الجملة من الجار والمجرور نائب فاعل للفعل المبني للمجهول (يجزى) على قراءة أبي جعفر ، مع وجود المفعول به (قوما).

ج- المصدر المختص :

ويشترط النحويون فيه أن يكون متصرفا ومختصا ،كي ينوب عن الفاعل في الفعل المبني للمجهول . من ذلك قوله تعالى : "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفخَةٌ وَاْحِدَةٌ "[42] فجاء نائب الفاعل (نفخة) مصدرا متصرفا مختصا . وكذلك في قوله تعالى:"وَاتَّقُوا يَوْمَاً لا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُم يُنْصَرُوْن "[43]جاء نائب الفاعل (شفاعة) و(عدل) للفعلين (لا يقبل) و (لا يؤخذ)مصدرين متصرفين مختصين . وقد ورد نائب الفاعل كذلك مصدرا متصرفا مختصا في قوله تعالى : " وَضُرِبَتْ عَلَيْهِم الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ " [44] ..الذلة . وفي قوله تعالى : " فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم العَذَابُ " [45] .. العذاب . وفي غيرها من المواضع – والله أعلم – .

ويضيفون إلى هذه الثلاثة الظرف ، ويشترطون فيه أيضا أن يكون متصرفا مختصا كي ينوب عن الفاعل في الفعل المبني للمجهول .

هوامش القسم الأول:

* نائب الفاعل: مصطلح بصري ، وما لم يسم فاعله: مصطلح كوفي. وهما واحد.

1. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بتحقيق وتعليق وشرح : محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ، مراجعة : محمود أمين النواوي ،ج / 1 ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، 1961 ،ص285 .
2. ابن الأنباري : أسرار العربية .تحقيق محمد بهجة البيطار ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ب.ت، ص91 .
3. ينظر . حسن.عباس : النحو الوافي ،ج / 2 ، ص98 وما بعدها .
4. شرح ابن عقيل ،ص286–285 .
5. ينظر الراجحي .عبده : دروس في شرح الألفية ،

دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،1988،ص-48 . 49

6. راجع . عباس . حسن ، النحو الوافي ،ص102 وما بعدها ، لتتبين الأمثلة على ذلك .

7. ينظر الأنصاري . ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ج / 2 ،(ومعه عدة السالك الى تحقيق أوضح المسالك __ لمحمد محيي الدين عبد الحميد) دار الفكر ، بيروت ، ص158 .

8. شرح ابن عقيل ، ص287 .

9. م.ن ، 288 .

10. الأنصاري ، أوضح المسالك ، ص158 .

11. شرح ابن عقيل ، 290 .

12.ينظر . حسن. عباس : النحو الوافي ،106

13. شرح ابن عقيل ، 286 .

14. ينظر ابن الأنباري :اسرار العربية ، 93 .

15. ينظر .حسن .عباس : النحوالوافي ، 107

16. م.ن ،107 .

17. م.ن ،109 .

18. الأنباري : أسرار العربية ، 88 .

19. الراجحي : دروس ...، ص45 ، وانظر . الأنصاري :أوضح .. ، ص137 .

20. ينظر الراجحي ، م.ن ، ص46 . وكذلك الزمخشري .أبو القاسم محمود بن عمر : المفصل في علم العربية (وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل للسيد محمد بدر الدين الحلبي) دار الجيل ، بيروت ،ط / 2 ،ب.ت ، 259-258 .

21. الأنباري :أسرار العربية ، 95 .

22. عبد الحميد . محمد محيي الدين : عدة السالك ...م.س ، 139 .

23. ينظر .م.ن ، 138-137 .

24. ينظر . ابراهيم . عبد العليم : النحو الوظيفي ، دار المعارف ، مصر ، ب.ت ، 17 .

25. فاطر4 .

26. ينظر .الهاشمي . السيد أحمد : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ب.ت ، 111 .

27. الحج42-44 .

28. ينظر الزمخشري : الكشاف ،ج / 2، 350 .

29. التين4- .

30. السامرائي. د.فاضل صالح : التعبير القرآني ، جامعة بغداد - بيت الحكمة - دار الكتب للطباعة والنشر ، 1987 ، 303 وينظر ص304 .

31. النساء28 .

32. الأنبياء37 .

33. المعارج 19-20 .

34. البقرة11 .

35. ينظر . حسن .عباس : النحو الوافي ، ج / 2 ، 113 .

36. الشعراء 92 .

37. ينظر الراجحي :دروس .. ، 36 وما بعدها ، و. الأنصاري :أوضح .. ، ج / 2 ، 135 وما بعدها .

38. الأعراف 149 .

39. العكبري . أبو البقاء عبد الله بن الحسين : التبيان في إعراب القرآن ، المكتبة التوفيقية ، ط / 2 ، ج / 1 ، 285 .

40. الجاثية 14 .

41. ينظر الأنصاري : أوضح المسالك.. ، 149 ، و. الراجحي :دروس في شرح الألفية .. ، 44 .

42. الحاقة 13 .

43. البقرة 48 .

44. البقرة 61 .

45. البقرة 86 .

ثانيا: أغراض بناء الفعل للمجهول في القرآن الكريم

1. الإيجاز:

لدى استقراء الأفعال المبنية للمجهول في القرآن الكريم ، وجدت أن أكثرها بني للمجهول بقصد الإيجاز البلاغي والاختصار وعدم التطويل ، وقد ارتبط ذلك في كثير من المواضع بمعرفة الفاعل أيضا ، وبأغراض أخرى غير ذلك (سنبينها إن شاء الله) . قال تعالى : "وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُم بِهِ "[1] فعوضا عن التطويل الذي يكون الايجاز فيه أبلغ قال (عوقبتم) بدلا من القول المفصل الذي لا حاجة له ، لأن معناه واضح بين . فقد نزلت الآية حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد «بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم، فوقف رسول الله –صلى الله عليه وسلم – على حمزة وقد مثل به فرآه مبقور البطن فقال : أما والذي أحلف به لئن أظهرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك . فنزل قوله تعالى:« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ...» (الآية) فكفر عن يمينه وكف عما أراده»[2].

وقال تعالى : « وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ إلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغيًا بَيْنَهُم ...» [3] ارتبطت هنا معرفة الفاعل بقصد الايجاز ، فالذي أنزل الكتاب هو الله تعالى وهو معروف بدرجة أسمى من الذكر ، كما أنه لا حاجة لمزيد من الشرح والتفصيل في ذلك ، فالفائدة البلاغية تتحقق بالإيجاز لا بالتطويل . بل ويكون التأثير في نفس المتلقي أكبر وأشد ؛ لان الاهتمام يكون مركزا في الحدث ، لا في تفاصيل تدور حول الحدث أهميتها ضئيلة إذا ما قورنت مع أهمية الحدث نفسه.

ويرتبط كذلك قصد الايجاز مع كون ذكر الفاعل ليس بذي أهمية ، وإنما المهم هو الحدث نفسه بشكل خاص ، كأن يكون المهم هو بيان حكم ما ، كما في قوله تعالى :"فَإِن أُحصِرْتُم "[4] وقوله تعالى :"إِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ"[5] فالمهم هو بيان الحكم في حالة (الإحصار) وحالة (التحية)[6].وهنا لا بد من الحديث عن الفعل (قيل) الذي ورد في القرآن الكريم 49 مرة وهو يتساوى في ذلك مع الفعل (أنزل) فهما أكثر الأفعال المبنية للمجهول ورودا في القرآن الكريم . وقد ورد (قيل) في أكثر المواضع بقصد الإيجاز المرتبط بعدم أهمية ذكر الفاعل إذا ما قورن ذلك بأهمية ذكر الحكم الذي ورد لأجله . وخصوصا عندما يرد مرتبطا بالشرط ،وقد ورد كذلك 23 مرة . منها عندما يرتبط ب "إذا "الشرطية ،من ذلك قوله تعالى :–"وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعِ مَا أَلفَينَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا "[7] فالأكثر أهمية هنا هو ذكر مقول القول ومنها ما يرتبط ب "إذ" أيضا ، من ذلك قوله تعالى :"وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُم تَمَتَّعُوا حَتَّى حِين"[8] ومنها عندما يرتبط ب "إن" الشرطية من ذلك قوله تعالى :"وَإِن قِيلَ لَكُم ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُم ..."[9]. أما دلالة سبقها بأداة شرط مختلفة ،فذلك لأن لكل أداة من أدوات الشرط دلالة خاصة ترتبط بالسياق الذي ترد فيه ،ففي المثال الأول كانت أداة الشرط (إذا) لإفادتها الظرفية الزمانية التي تفيد الزمان مطلقا ،ومعنى الكلام (إذا قيل في أي وقت ...) بينما في المثال الثاني تفيد (إذ) الظرفية الزمانية التي ترتبط بالزمن الماضي المخصوص بالقصد المذكور ، ومعنى الكلام (إذ قيل لهم في وقت ثمود ...آنذاك ...) وفي بقية المواضع ورد الفعل المبني للمجهول (قيل) غير مرتبط بالشرط .لكنه مرتبط بأشياء أخرى ؛فتارة ب (لهم) أو ما معناه ،وتارة يظل منفردا .ومثال الحالة الأولى قوله تعالى :"وَقِيلَ لَهُم أَيْنَ مَا كُنْتُم تَعبُدُون* مِن دُونِ اللهِ هَل يَنْصُرُونَكُم أو يَنْتَصِرُونَ؟ "[10] . فالتركيز في الآية الأولى على السؤال الاستنكاري الذي تكمله الآية التالية لذا

كان الإيجاز فيها أبلغ من ذكر الفاعل . ومثال الحالة الثانية قوله تعالى :- "وَقِيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاْءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقلعي وَغيْضَ المَاْءُ وَقُضيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىالجُوديِّ وَقِيلَ بُعْدَاً لِلْقَوْمِ الظَّالمين"[11] وهذه الآية من أكثر المواضع التي ورد فيها الفعل المبني للمجهول لافتا الانتباه ،الأمر الذي جعل عبد القاهر الجرجاني –رحمه الله –يقف عندها مليا في (دلائل الإعجاز) متأملا عظمة الخالق –عز وجل – وإعجاز النظم فيها ، كما في القرآن الكريم كله؛ إذ تحدث عن دلالة كل لفظة مفردة وأثرها في السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة ،مشيرا إلى أن مبدأ العظمة في الاختيار أن نوديت الأرض ،ثم أمرت ، ثم كان النداء ب "يا "دون (أي) نحو "يا أيتها الأرض"ثم إضافة الكاف إلى الماء ، دون أن يقال"ابلعي الماء"ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها "نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل "وغيض" الماء، فجعل الفعل على صيغة (فُعل) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر ،ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى : "وقضي الأمر" ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو : "استوت على الجودي"ثم ذكر إضمار السفينة قبل الذكر ، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ثم مقابلة (قيل) في الخاتمة ب (قيل) في الفاتحة 12 وفي حين تحدث الجرجاني عن علاقة الألفاظ بالسياق يتبين لنا ارتباط الأفعال (قيل ، غيض ، قضي ، قيل) في الآية بعضها ببعض . إن تصوير المشهد وتبيان قدرة الله تعالىفي الخلق المعجز هو مركز الحديث الذي كان لأجله بناء الفعل (قيل – الأول) للمجهول ، ثم أن (غيض) مرتبطة ب (قضي) لأن الله تعالى هو الآمر في الحالتين ، ولم يبن للمعلوم لاستكمال عظمة الإعجاز ، لأنه لو قال (غاض) لكان قد حدث نقص الماء دون أمر من الله تعالى وهذا ما لا يحدث ، ومثلها (قضي) فلو قال (وقضى) الأمر لكان الأمر قد انتهى وحده ، ومثلما ربط بين (قضي وغيض) ربط بين (قيل) الأولى والثانية ببنائهما للمجهول لفائدة بلاغية يبدو فيها الحذف أبلغ من الذكر ، الأمر الذي حقق وجها من وجوه البلاغة المعجزة ذلك انه إن تعين الفاعل وعلم أن هذا الفعل العظيم مما لا يقدر عليه إلا هو وحده كان ذكره فضلا ولغوا وحاشا للقرآن الكريم أن يكون كذلك . وفي هذا البناء أيضا إيذان بأن ذلك من الله تعالى لا يشاركه فيه أحد ، وأن اسمه – جل وعلا – جدير بأن يصان ويرتفع عن الابتذال والامتهان وفي باب الحديث عن قصد الإيجاز في البناء للمجهول، نكتفي بهذه الشواهد الدالة فهي توضح الغرض وتبينه ، والله أعلم.

2. العلم بالفاعل

يبنى الفعل للمجهول إذا علم فاعله ، تلك مسألة عامة، أما في القرآن الكريم فقد وردت بكثرة ، وأفادت كثيرا من المعاني البلاغية . قال تعالى: "خُلِقَ الإِنْسَانُ مِن عَجَل" [13] إذ بني الفعل (خُلق) للمجهول لأن فاعله وهو الله تعالى معروف. فهو الخالق وحده لا شريك له في ذلك. فلا تكون هناك حاجة للقول (خلق الله الإنسان من عجل) ببناء الفعل (خُلق) للمجهول. أما فائدته البلاغية فهي التحقيق، ذلك أن الغرض هو الإعلام بتحقق وقوع الفعل بالمفعول، ولا حاجة لذكر الفاعل طالما أنه معروف . ومثل ذلك أيضا قوله تعالى:- "وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفَا"[14] فنحن نعلم علم اليقين أن الله هو الخالق ، والغرض البلاغي هنا هو التقرير ، لحمل الإنسان على الإقرار والاعتراف بأمر تأكد ثبوته كي يوصله ذلك إلى الإيمان بقدرة الله تعالى على خلقه ضعيفا في البدء ثم تطويره والارتقاء بقدراته ، فذلك كله لا يحدث إلا بأمر الله تعالى. ومن ذلك أيضا قوله تعالى:"... وَإِنَّ الذِينَ

أُوْتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ من رَبِّهِم ..."[15].

وبما أنها سبقت بأداة تأكيد (إن) وبما أن الذي آتى الكتاب معروف بدلالتين ؛ الأولى : أن الذي أنزل الكتب السماوية كلها هو الله . والثانية : بداية الآية 146 قوله تعالى : "الَذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ" فقد اتضح أن الغرض البلاغي لهذا البناء للمجهول هو التأكيد والتقرير المرتبط بالتهديد بدلالة قوله تعالى في نهاية الآية 144:- "وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُون" وقد تكرر بناء هذا الفعل (أوتوا) للمجهول في سورة البقرة في الآية101 والآية 144 والآية 145 في حين تكرر بناؤه للمجهول في القرآن الكريم كله 23 مرة، كلها بسبب العلم بالفاعل ، سواء وردت كما في قوله تعالى :"....أُوْتُوْا الكِتَابَ ..."[16] أم كما في قوله تعالى :" ...أُوْتُوْا نَصِيْبَاً مِنَ الكِتَابِ ..."[17] .

ومن الآيات التي بني فيها فعل للمجهول بسبب العلم بالفاعل قوله تعالى:"وَكَيْفَ تَكْفُرُوْنَ وَأَنْتُم تُتْلَى عَلَيْكُم آيَاتُ الله وَفيكُم رَسُوْلُهُ وَمَن يَعْتَصِمْ بِالله فَقَد هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْم "[18]. فقوله- تعالى- (هدي) معلوم الفاعل ، وفيه قصد تعظيم الفاعل (كما سيأتي لاحقا – إن شاء الله-) لأن الذي يهدي إلى الصراط المستقيم هو الله وحده ، لقوله تعالى : "قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيِّمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِيْنَ"[19]ولوقوعها في جواب الشرط ، الذي جاء ليتمم دلالة المعنى البلاغي في الاستفهام التوبيخي التعجبي في بداية الآية.

وقد يبنى الفعل للمجهول للعلم بالفاعل لدلالة الطلب كما في قوله تعالى:"وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوْتِيَ رُسُلُ الله ..."[20] ذلك أن أكابر مكة اشترطوا ليؤمنوا بالله ورسوله أن يؤتى الرسول – صلى الله عليه وسلم – مثلما آتى الله غيره من الرسل من الرسالة والوحي ، لأنهم (فيما يقولونه)أكثر مالا وأكبر سنا[21]، لذا طلبوا ذلك مشترطين .

وقد يبنى لدلالة التشويق ، كما في قوله تعالى :« أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ...»[22] فالذي يؤتي الأجر هو الله تعالى وحده ، وقد بني الفعل للمجهول لإفادة التشويق وذلك بتحسين الفعل وتشويق المخاطبين ودفعهم إلى مزيد من الإيمان بما يتلى عليهم من آيات الله تعالى . والله أعلم .

3. تعظيم الفاعل

يبنى الفعل للمجهول لتعظيم الفاعل ، وفي القرآن الكريم بني لتعظيم الخالق –عز وجل – الفعال لما يريد ، الذي إذا أراد أمرا قال له كن ، فيكون ، "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْن" [23] ما استوجب تعظيمه – سبحانه وتعالى – . وتعظيم الفاعل مرتبط في كثير من المواضع التي بني فيها الفعل للمجهول بمعرفة الفاعل وقصد الإيجاز ، مما يبين أن البناء للمجهول في كل موضع يفضي إلى موضع آخر ، أوليس القرآن الكريم في جملته يرتبط بعضه ببعض ، كأنه سورة واحدة أو كأنه آية واحدة !؟[24] قال تعالى :"وَالَذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُم يُوْقِنُوْن"[25] لما كان الحديث عن القرآن الكريم والكتب السماوية ؛ الإنجيل والتوراة وغيرها ، فقد بني الفعل للمجهول لتعظيم الفاعل (المنزل) زيادة على أنه معروف وتحقيقا لجانب من جوانب البلاغة القرآنية المعجزة ، وقد سبق ذكر الكتاب في الآية الثانية فصار الإيجاز أبلغ من الذكر . غير أن ما يثير الاهتمام في هذا الوجه البلاغي هو ارتباط الفعل (أُنزل)– الذي ورد ذكره في القرآن الكريم 49 مرة –،بحرفي الجر (إلى)و(على) فيرد بعده مرات (إلى) كما في الآية السابقة ، ويرد بعده مرات (على) كما في قوله تعالى:"وَإِذَا قِيْلَ لَهُم آمِنُوْا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوْا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ... "[26] ويرد في المواضع الأخرى متلوا بحروف جر أخرى مختلفة، كل موضع على وفق السياق الذي

يرد فيه ، ولكن لم يرد الفعل (أنزل) مبنيا للمجهول إلا متلوا بحرف من حروف الجر . ولهذا دلالته البلاغية المرتبطة بالتركيب النحوي ؛ كل موضع له دلالة خاصة. قال تعالى:"شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فيْهِ القُرْآنُ ..."(27) بني (أنزل) للمجهول لتعظيم الفاعل المعروف ولتحقيق الإيجاز.

نلاحظ في الأمثلة السابقة وغيرها أن (أنزل) أتبعت ب(إلى) التي تفيد الظرفية غالبا في حالة المؤمنين الذين استقر إيمانهم ، ليكون وقع عظمة القول المعجز مسهلا لتعميق الإيمان ، فوقع (إلى) أخف على السمع من وقع (على) ويؤكد ذلك ويوضحه مخرج كل من صوت (العين) وصوت (الهمزة) وصفاتهما . في حين وردت (أنزل) متبوعة ب(على) غالبا في حالة الذين لم يستقر إيمانهم أو الفاسقين أو الرافضين الخضوع لله __تعالى__ . وأمثلة ذلك كثيرة ،منها قوله تعالى :"وَإِن منْ أَهْلِ الكتَاْب لَمَنْ يُؤْمنُ بالله وَمَا أُنْزلَ إِلَيْكُم وَمَا أُنْزلَ إِلَيْهِم خَاشعيْنَ لله لا يَشْتَرُوْنَ بآيَات الله ثَمَنَا قَليْلا ..."(28) وقوله تعالى :"وَيَقُوْلُ الذيْنَ كَفَرُوْا لَوْلا أُنْزلَ عَلَيْهِ آيَةٌ من رَبِّه ..."(29) وغيرها.

في حين استوجبت سياقات أخرى أن يتبع (أنزل) ب(من) مثلا كما في قوله تعالى :"قَالُوْا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمعْنَا كتَابَا أُنْزلَ من بَعْد مُوْسَى"(30) وب(الباء) كقوله تعالى :"فَإن لَم يَسْتَجيْبُوْا لَكُم فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزلَ بعلْم الله ..."(31) وغير ذلك .

ويرتبط بتعظيم الفاعل بناء الفعل (كتب) للمجهول في القرآن الكريم في جميع المواضع التي ورد فيها ، ولدلالات بلاغية مختلفة ، فيرد في مواضع متبوعا ب(على) وفي أخرى يرد متبوعا ب(اللام) ، فإن ورد متبوعا ب(على) كان مدللا على الطلب بحالاته المختلفة كالتحضيض مثلا في قوله تعالى:"يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ..."(32) والعرض كما في قوله تعالى :"كُتبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إن تَرَكَ خَيْرَا الوَصيَّةُ للوَالدَيْن والأَقْرَبينَ ..."(33) والحث كما في قوله تعالى :"يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوْا كُتبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتبَ عَلَى الذينَ منْ قَبْلكُم ..."(34) وغيرها .

وإن ورد متبوعا ب(اللام) كان مدللا على التحقيق ، كما في قوله تعالى :"وَلا يَنَالُونَ من عَدُوٍّ نَيْلا إلا كُتبَ لَهُم به عَمَلٌ صَالحٌ"(35) وقوله تعالى :"وَلا يَقْطَعُوْنَ وَاديَا إلا كُتبَ لَهُم ..."(36) وغيرها. كما يرتبط بتعظيم الفاعل بناء الفعل(أوحي ، يوحى) للمجهول في القرآن الكريم، وقد حمل ذلك دلالات بلاغية مرتبطة بسياقات المعاني التي وردت فيها . من ذلك قوله تعالى :"قُلْ أُوْحيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ منَ الجنِّ فَقَالُوْا إِنَّا سَمعْنَا قُرْآنا عَجَبَا"(37) وهذا من باب التعظيم للفاعل . في حين وردت في سياقات أخرى من باب التهديد والوعيد ، فالقادر على الإيحاء قادر على إلحاق العذاب بالذين يكفرون بهذا الدين أو يكذبونه ، قال تعالى :"إنَّا قَد أُوْحيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى "(38) وقال تعالى :"وَأُوْحيَ إِلَيَّ هَذا القُرْآنُ لأُنْذرَكُم به وَمَنْ بَلَغَ أَئنَّكُم لَتَشْهَدُوْنَ أَنَّ مَعَ الله آلهَةً أُخْرَى ..."(39) وقد دلل على استمرار نزول الوحي زمن النبي __ صلى الله عليه وسلم __ بالمضارع ، وللدلالة على التقرير وإظهار الخضوع الكامل لله وحده ، واستمرار التسليم بقدرته__تعالى__، من ذلك قوله تعالى:"قُل إِنَّمَا أَتَّبعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ من رَبِّي ..."(40) وقوله تعالى :"إِنْ أَتَّبع إلا مَا يُوْحَى إِلَيَّ ..."(41) وللدلالة على الأمر كما في قوله تعالى :"وَاتَّبع مَا يُوْحَى إِلَيْكَ وَاْصْبر حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهوَ خَيْرُ الحَاكمين"(42) وللدلالة على التعجب في سياق الاستفهام المشوب بالتهديد والتهويل ورد قوله تعالى :"وَمَن أَظْلَمُ ممَّن افْتَرَى عَلَى الله كَذبَا أو قَالَ أُوْحيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْه شَيْءٌ..."(43) .

والمواضع التي ورد فيها الفعل مبنيا للمجهول لتعظيم الفاعل كثيرة ، نكتفي بهذه الأمثلة في هذا

المقام .

4. مناسبة ما تقدمه

وبما أننا نؤكد على السياق الذي يرد فيه اللفظ، متأثرين في ذلك بفكرة (النظم)التي قال بها الجرجاني –رحمه الله–، فإننا نؤكد أن العلاقات بين الألفاظ ليست عبثية أو عشوائية، فلكل لفظ دلالته وضرورته السياقية المعجزة بل ولكل حرف دلالته في اللفظ سواء أكان مرسوما أم كان ملفوظا غير مرسوم "إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود. كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا ، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا الصورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله. ومما يدلل على ذلك الإحصاءات التي أظهرتها الدراسات الحديثة والتي بينت بوضوح أن القرآن الكريم إنما حسب لكل حرف فيه حسابه وانه لا يمكن أن يزاد فيه أو يحذف منه حرف واحد "[44]

وترد في النص أحيانا لفظتان ليست بينهما علاقة مباشرة غير ظاهر اللفظ ،كما ترد في مواضع أخرى بينهما علاقة مباشرة ، ويرتبطان ارتباطا لا غنى عنه. من ذلك ورود المبني للمجهول لمناسبة ما تقدمه ، ولأغراض بلاغية مرتبطة بالدلالات العامة والخاصة للنص . وفي اعتقادي أن الإحاطة الشاملة بهذا الأمر لا يعلمها إلا الله ،و لكننا نحاول معرفة شيء منها بإذن الله –تعالى–.

أشرت فيما مضى إلى الآية 44 من سورة هود ، وإلى ورود لفظ (قيل) مرتين في الآية ،وقد وردت في المرة الثانية لمناسبة ورودها في بداية الآية (وقيل يا أرض ....) و (قيل بعدا ...) فقد اتضح أن أمر الله –تعالى– قد تحقق في ابتلاع الأرض للماء ،كما تحقق في إبعاد القوم الظالمين ، فأصبح الأمر جليا ، فقدرته –تعالى – هي التي حققت الأمرين منذ أن ابتلعت الأرض ماءها ، وأقلعت السماء ، وغيض الماء ، وقضي الأمر ، وتحقق استواء الفلك على الجودي ،فصارت الحياة حياة جديدة على الأرض ولا بد لكي تكون كذلك من أن تتخلص من الظالمين ،فكان أمر الله أن قيل بعدا للقوم الظالمين .

ومثال ذلك أيضا ورود (قيل) مرتين في سورة الأعراف، الثانية لمناسبة الأولى ،حيث قال تعالى :– "وَإِذْ قِيْلَ لَهُم اسْكُنُوا هذه القَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُم وَقُولُوا حِطَّة وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا نَغْفِر لَكُم خَطِيْئَاتِكُم سَنَزِيْدُ المُحْسِنِينَ* فَبَدَّلَ الذينَ ظَلَمُوا مِنهُم قَوْلا غَيْرَ الذي قِيْلَ لَهُمْ ..." [45] فمقول القول في الآية الأولى يبدأ من السكن ثم الأكل ثم القول ثم الدخول ...، لكن هذا لم يستقر ويتحقق، وإنما ظلم جزء منهم فبدلوا ذلك القول (الذي ورد ذكره آنفا) فلا ضرورة لذكره الآن مرة أخرى ،والإشارة إليه لمناسبة ماتقدمه (وهو ذكره) تكفي . وورد قيل أيضا لمناسبة ما تقدمه معطوفا في المرة الثانية على المرة الأولى في قوله تعالى :–"يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا إذا قِيلَ لَكُم تَفَسَّحُوا في المَجَالِسِ فَافسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُم وَإِذَا قِيلَ انشزُوا فَانشزُوا يَرْفَعُ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُم ...."[46] . ولمناسبة ما تقدمه ورد لفظ (كتب) مبنيا للمجهول في قوله تعالى :– "يَا أَيُّها الذين آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَمَا كُتِبَ على الذينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُون" [47]. وورد مرة أخرى في قوله تعالى :"قَالَ هَل عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ ألاّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا ألاّ نُقَاتِلَ في سبيلِ الله وَقَد أُخْرِجنَا من دِيارِنَا وَأَبنائِنَا ،فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوْا إلا قَلِيْلاً مِنْهُم "[48] فبني لفظ (كتب)الثاني للمجهول لمناسبة بناء الأول للمجهول في الآيتين السابقتين ،وقد ورد مرتين في كل آية ،بينما ورد مرتين في آيتين متتاليتين في سورة التوبة في الثانية لمناسبة الأولى . قال تعالى :–"... ذلكَ بِأَنَّهُم لا يُصيبُهم ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ ولا مَخمَصَةٌ في سبيلِ الله وَلا يَطئونَ مَوْطئاً يغيظُ الكُفَّارَ وَلا يَنالُونَ من عَدُوٍ نَيْلا إلا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ

إنَّ اللهَ لا يضيعُ أجرَ المحسنينَ*وَلا يُنفقونَ نَفَقَةً صَغيرَةً ولا كَبيرةً وَلا يَقطَعونَ وَاديًا إلا كُتِبَ لَهُم ليَجْزيهمُ اللهُ أَحسَنَ مَا كانُوا يَعمَلونَ"[49] و مثلها في سورة البقرة الآيات 145-144 ورد لفظ (أوتوا) كما ورد في الآيتين 20-19 من سورة آل عمران . بينما ورد اللفظ نفسه مرتين في آية واحدة في سورة المائدة ،المرة الثانية فيها لمناسبة الأولى ،قال تعالى :-"اليَوْمَ أُحلَّ لَكُم الطَيِّبَاتُ وَطَعَامُ الذينَ أُوتُوا الكتَابَ حلٌّ لَكُم وَطَعَامُكُم حلٌّ لَهُم وَالمُحْصَنَاتُ منَ المُؤْمنَات وَالمُحْصَنَاتُ منَ الذينَ أُوتُوا الكتَابَ من قَبْلكُم ...."[50] كما ورد لفظ (أحل) ثلاث مرات في آيتين متتاليتين لمناسبة ما تقدمه ، وذلك في قوله تعالى :-"يَسْأَلُوْنَكَ مَاذا أُحلَّ لَهُم قُلْ أُحلَّ لَكُم الطَّيبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم منَ الجَوَارح ....* اليَوْمَ أُحلَّ لَكُم الطَّيبَاتُ ..."[51] كما وردت في سياق آخر غير اللفظ نفسه ،أيضا لمناسبة ما تقدمه ،من مثل قوله تعالى :- "إذا رُجَّت الأَرضُ رَجَّاً * وَبُسَّت الجِبَالُ بَسَّاً"[52] فبنى (رجت) للمجهول ولمناسبته بنى (بست) للمجهول أيضا مع اختلاف في اللفظ يناسب المقام ،فالأرض ترج والجبال تبس . ومن ذلك قوله تعالى :- "رَضُوا بأَن يَكُونُوْا مَعَ الخَوَالف وَطُبعَ عَلى قُلُوبهم فَهُم لا يَفْقَهُوْن"[53] فبنى (طبع) للمجهول ، لأنها مسبوقة بقوله تعالى :-"وَإذا أُنْزلَتْ سورَةٌ "ببناء (أنزلت) للمجهول ، مناسب بين المطلع والختام . ونشير إلى قوله تعالى فيما بعد: "وَطَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوْبهم فَهُم لا يَعْلَمُون"[54] فلم يكن قبلها ما يستوجب بناؤها للمجهول فبنيت للمعلوم .

5. الاستعلاء على الفاعل أو تحقيره

إن الله __ تعالى __ هو العلي المتعال ، لذا فقد حق التحقير على الذين يكفرون بآياته ، كما حق الاستعلاء على الذين يدعون القوة من دون الله . قال تعالى : "وَأَتمُّوا الحجَّ والعمرَةَ لله فَإن أُحْصرتُم فَمَا اسْتَيْسَرَ منَ الهَدي ..."[55] فبنى الفعل (أحصرتم) للمجهول استعلاء على الفاعل ،وأردفها بالتخفيف على عباده الذين يطلبون رضاه ، ويؤدون فرائضه ، بما استيسر من الهدي . وقال تعالى : "يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسلَ فَيَقُولُ مَاذا أُجبتُم ..."[56] يذكر أن السؤال في قوله تعالى (ماذا أجبتم) فيه توبيخ لأقوام الرسل[57]، لأن بعضهم استجاب استجابة جزئية ، والله تعالى غني عن عباده ، فبنى للاستعلاء (أجبتم) للمجهول . وقال تعالى :"زُيِّنَ للذينَ كَفَرُوا الحياةُ الدُّنْيَا ..."[58] ومن الذي يزين للذين كفروا الحياة الدنيا غير من يستحق التحقير وعدم الذكر !. وقال تعالى :"بَلْ ظَنَنْتُم أَن لن يَنقلبَ الرَّسُولُ والمُؤمنُونَ إلى أَهليْهم أَبَدَا وَزُيِّنَ ذلكَ في قُلُوبكُم وَظَنَنتُم ظَنَّ السُّوء وَكُنتُم قَوْمَاً بُورَا"[59] لقد اتضحت الغاية البلاغية من تحقير الفاعل الذي يزين ظن السوء هنا بالتهكم والسخرية وإظهار الاستهزاء ، لأن هؤلاء الذين ظنوا بعدما زين لهم قوم بور (هالكون عند الله تعالى) . وحول هذا المعنى يكون قوله تعالى :"أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَله فَرَءَاهُ حَسَنَاً فَإنَّ اللهَ يُضلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهدي مَن يَشَاء ..."[60] وكان في هذا الموضع مما يزيد الاستهزاء بالفاعل بدء الآية بالاستفهام الإنكاري [61] ويرتبط هذا البناء للمجهول بحذف آخر في الآية وهو شقها الثاني المتمم للمعنى (خبر المبتدأ) ، والتقدير (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا كمن هداه الله) ويتضافر الحذفان لأداء مهمة بلاغية عالية هي من سمات التعبير القرآني المعجز . وقال تعالى : " ... قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بأَهلكَ سُوءاً إلا أن يُسْجَنَ أَو عَذَابٌ أَليْم"[62] جاء القول على لسان (زليخا) زوجة (العزيز) تريد الإيقاع بيوسف – عليه السلام – في السجن ، ومن يسجن يوسف يستحق أن يستعلى عليه ، لا سيما أن يوسف مظلوم ، ولكن لله في خلقه آيات وشؤون . وقد تكرر الفعل المبني للمجهول (يسجن) مرة ثانية في الآية 32 في

قوله تعالى على لسان (زليخا) أيضا : " ... وَلَئِن لَم يَفعَل مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَن وَليَكُونا مِنَ الصَّاغِرين" فاستحق للسبب نفسه البناء للمجهول ، والله أعلم .

6. لأن الفاعل مجهول فعلا

يبنى الفعل للمجهول إذا كان الفاعل مجهولا فعلا ، وفي القرآن الكريم يقصد بذلك ، أولا : أن يكون شخوص القصة يجهلون الفاعل . ثانيا : أن يكون النظارة يجهلون الفاعل . ثالثا : أن يكون شخوص القصة والنظارة معا يجهلون الفاعل .وبالطبع ليس المقصود أن يكون القائل – سبحانه وتعالى – هو المقصود بعدم المعرفة ، فهو جل شأنه يحيط علمه كل شيء. ومثال الحال الأولى التي يكون فيها شخوص القصة يجهلون الفاعل قوله تعالى : " ... وَشَهِدَ شَاْهِدٌ من أَهْلِهَا إن كانَ قَميصُهُ قُدَّ من قُبُلٍ فَصَدَقَت وَهوَ مِنَ الكَاذِبينَ * وَإن كانَ قَميصُهُ قُدَّ من دُبُرٍ فَكَذَبَت وَهوَ من الصَّادقين * فَلَمَّا رَأَى قَميْصَهُ قُدَّ من دُبُرٍ قَالَ إنَّهُ من كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظيْم "(63) إن الله تعالى يعلم كل شيء ؛ ويعلم من المظلوم ، ويعلم النظارة من المظلوم أيضا ، أما أشخاص القصة الذين غابوا عن المشهد فهم لا يعرفون الفاعل ، لا يعرفون من الذي (قد) قميص يوسف ،أهي زليخة التي في حالة الدفاع عن النفس ، أم زليخة التي في حالة الإقدام حين كان يوسف في حالة الدفاع عن النفس والهرب منها ؟ وهنا تكون لزليخة شخصيتان ؛ شخصية المعتدية وشخصية المعتدى عليها ، فأيهما الذي فعل ؟ وقد اظهر الله تعالى الحقيقة بكشف تصويري معجز فائق الجمال والتعبير ، فيه من المفاجأة ما يمثل ذروة فنية متقدمة ، بل ونموذجا خاصا (ربانيا) ، حيث ألهم شاهدا من أهلها ليشهد بالحق شهادة مبينة ، فيها دليل واضح .

ومثال الحال الثانية التي يكون فيها النظارة يجهلون الفاعل ويكون شخوص القصة يعرفون الفاعل ، وإنما بني للمجهول بالنسبة للنظارة لعدم حاجتهم لمعرفة الفاعل ، فذلك لا يؤثر في الحدث نفسه ، وإنما المؤثر هو الحدث وتصاعده ، يقول تعالى :"وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهوَ كَظيْم * يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ من سُوْءِ مَا بُشِّرَ بِه"(64) ليس المهم في الحدث من الذي بشر، وإنما المهم هو ماهية الخبر ، فلا يهم النظارة أن يعرفوا من الفاعل ، لذا بني الفعل للمجهول وظل مجهولا ، فالشخصية الرئيسة في الحدث (أحدهم) يعرف من الذي بشره في حين لا يعرفه النظارة لأنهم ليسوا في حاجة إليه . وسواء أكان الذي بشر زيد أم عمرو فذلك لا يغير شيئا في ماهية الحدث .

ومثال الحال الثالثة التي تغيب فيها الحاجة إلى معرفة الفاعل سواء من النظارة أم من شخوص القصة ، قوله تعالى :"فَإن عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إثمًا فَآخَرَان يَقُومَان مَقَامَهُمَا منَ الذينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَاْن ..."(65) يقول الصابوني :"أي فإن اطلع بعد حلفهما على خيانتهما أو كذبهما في الشهادة ، فرجلان آخران من الورثة المستحقين للتركة يقومان مقام الشاهدين الخائنين ..."(66) بني (عثر) للمجهول بالنسبة للجميع فلا حاجة في هذا الموقف للعلم ب(من) الذي (عثر) .

7. أغراض أخرى

إن الغاية من إضافة هذا البند تحت هذا الاسم (أغراض أخرى)، ألا يكون في هذا البحث حصر وقطع، لأن الغايات كلها لا يعلمها الا الله تعالى ، ونحن نحاول الاجتهاد، ونعلم أننا مهما اجتهدنا فلن نصل الى المعرفة الكلية التي هي محصورة في الخالق –عز وجل– . هذا من جانب، ومن جانب آخر فإننا أردنا في واحد من أهدافنا أن نفتح الباب للبحث في هذا المضمار في القرآن الكريم، وهو –ولا شك– واسع جدا ، لا يمكن أن نحيط به في بحث واحد .

من تلك الأغراض التي ذكرها النحاة والبلاغيون؛ يبنى الفعل للمجهول في الشعر لتصحيح نظم وفي القرآن الكريم لمناسبة الفواصل والموازنة بين الجمل . والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى :- "أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"(67) فبنى للمجهول(رفعت) و(سطحت) لمناسبة (خلقت) وكلها فواصل متتابعة . مع التذكير أن أولها فيه حصر في الفاعل من حيث المعنى فالخلق محصور في الله تعالى . فهو إذن صاحب الأفعال (رفعت ، ونصبت ، وسطحت) فهو الذي خلق ، وبشيء من التفصيل المرتكز إلى الإيجاز البلاغي ، أي بكلمات قليلة فيها الكثير من المعاني ، وهو الذي (رفع ونصب وسطح) مع ملاءمة كل لفظ لموضعه فالإبل تُخلق ، والسماء تُرفع ،والجبال تُنصب ، والأرض تحت ذلك كله تُسطح . ومثال ذلك أيضا قوله تعالى :" وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى"(68) ، فبنى تجزى للمجهول ولم يقل يجزيها لأنها مسبوقة بفواصل متناسبة (تولى،الأتقى ،يتزكى، -تجزى- ، تجزى ثم- الأعلى ،يرضى) .

أما الموازنة فمثالها قوله تعالى : "أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ "(69) فقوله (بعثر ما في القبور) يوازي في الميزان قوله(حصل ما في الصدور) لعلاقة في المعنى بينهما؛ فكلاهما مرتبطان بالاستفهام التوبيخي في قوله (أفلا يعلم)(70).

ومثال الحالين معا قوله تعالى : "إِذا السَّماءُ كُوِّرَتْ * وَإِذا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذا الجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذا العِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذا البِحارُ سُجِرَتْ * وَإِذا النفوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذا المَوءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذا الصُحُفُ نُشِرتْ * وَإِذا السَّماءُ كُشِطَتْ * وَإِذا الجَحِيْمُ سُعِّرَتْ * وَإِذا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ"(71) وغيرها . والله أعلم .

هوامش القسم الثاني

1.النحل 126 .
2. ينظر . الزمخشري. جار الله: الكشاف .. ج / 2 ، 222 ، وتفسير ابن كثير، 592 .
3.البقرة 213 .
4.البقرة 166 .
5.النساء 86 .
6.الراجحي : دروس في شرح الألفية .. ، 37 .
7.البقرة 170 .
8.الذاريات 43 .
9.النور 28 .
10.الشعراء 92 .
11.هود 44 .
12.ينظر ، الجرجاني . عبد القاهر : دلائل الاعجاز، 76 وما بعدها .
13.الأنبياء 37 .
14.النساء 28 .
15.البقرة 144 .
16.آل عمران 19-20 ....
17.آل عمران 23 ،النساء 44 – 51 .....
18.آل عمران 101 .
19.الأنعام 161 .
20.الأنعام 124 .
21.ينظر .تفسير الجلالين ، 121 .
22.القصص 54 .
23.النمل 40 .
24.ينظر. الرازي. فخر الدين: التفسير الكبير، المطبعة البهية، مصر، 214-219، 30. وينظر ، 32 ، 104 .
25.البقرة 4 .
26.البقرة 91 .
27.البقرة 185 .
28.آل عمران 199 .
29.الرعد 27 .

30.الأحقاف 30 .
31.هود 14 .
32.البقرة 178 .
33.البقرة 180 .
34.البقرة 183 .
35.التوبة 120 .
36.التوبة 121 .
37.الجن 1 .
38.طه 48 .
39.الأنعام 19 .
40.الأعراف 203 .
41.يونس 15 .
42.يونس 109
43.الأنعام 93 .
44.السامرائي : التعبير القرآني ، 12 . وينظر . بسام جرار : إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن الكريم ، نون للأبحاث والدراسات القرآنية ،رام الله ، فلسطين ، ط / 1998-1 . وله أيضا : ولتعلموا عدد السنين والحساب ،نون للأبحاث ... ط / 1999-1 ، 53 وما بعدها ، وله أيضا : زوال إسرائيل 2022 نبوءة أم صدف رقمية ، مكتبة البقاع الحديثة ، لبنان ، ط / 2 ، 1996 ، 51 وما بعدها .
45.الأعراف 161– 162 .
46.المجادلة 11 .
47.البقرة 183 .
48.البقرة 246 .
49.التوبة 120 – 121 .
50.المائدة 5 .
51.المائدة 4-5 .
52.الواقعة 4-5.
53.التوبة 87 .
54.التوبة 93 .
55.البقرة 196 .
56.المائدة 109 .
57.ينظر . تفسير الجلالين ، 109 من سورة المائدة ،ص 105 .
58.البقرة 212 .
59.الفتح 12 .
60.فاطر 8 .
61.ينظر . الكشاف ، م 2 ، 567 .
62.يوسف 25 .
63.يوسف 26-27-28 .
64.النحل 58-59 .
65.المائدة 107 .
66.الصابوني . محمد علي : صفوة التفاسير ، م / 1 ، دار التراث العربي ،القاهرة ،1993 ، 370 .
67.الغاشية 17-20 .
68.الليل 19
69.العاديات 9-10 .
70.ينظر . ابن خالويه : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، دار الكتب المصرية، 1941 ، 158 .
71.التكوير 1-13.

خاتمة

الحمد لله حمدا كثيرا ، إذ أعانني على الوصول بهذا الجهد إلى هذه المرحلة التي آمل أن أكون قد وفقت فيها .

إن من مظاهر بلاغة التعبير القرآني استخدامه الفعل المبني للمجهول بطريقة مميزة الأمر الذي دعانا لإجراء هذا البحث (المبني للمجهول في القرآن الكريم : بحث في النحو والدلالة) وكان تقسيمه إلى قسمين تبعا لموضوعه ؛ إذ تناول القسم الأول منه المبني للمجهول نحويا، فعرض لأصول بنائه وفقا لأشهر آراء النحويين وفي مقدمتهم ابن مالك في ألفيته وشروحها ، مبينا ما يجوز بناؤه للمجهول كالفعل

الماضي والمضارع وأصول هذا البناء ، ومبينا ما لا يجوز بناؤه للمجهول كفعل الأمر لأنه موجه إلى مخصوص ولا يجوز أن يكون هذا مجهولا . وأوضح ما يسند إليه المبني للمجهول من المفعول به أو المصدر أو الجار والمجرور أو الظرف ، والأولوية للمفعول به إذا اجتمع مع واحد من الثلاثة الأخرى ، وإذا اجتمعت الثلاثة الأخرى فإن الإنسان مخير فيها وأرى ذلك أرجح الآراء . كما بين صور نائب الفاعل في جملة المبني للمجهول في اللغة عموما واستعرض ما كان منها في القرآن الكريم ممثلا عليها ، وخلص إلى أن المفعول به هو أكثر صور نائب الفاعل حضورا في القرآن الكريم مدللا بالأمثلة مستعينا بقائمة أعدها الباحث لجميع الأفعال المبنية للمجهول في القرآن الكريم (وقد ضاق المجال عن الاتساع لها في ختام هذا البحث لأنها طويلة جدا) . وجاء الجار والمجرور في المرتبة الثانية ثم المصدر المختص . عارضا أمثلة موضحة لها ، لكنها لم تحصر كل الأمثلة الواردة في القرآن الكريم لأنها كثيرة.

تناول القسم الثاني من البحث أغراض بناء الفعل للمجهول في القرآن الكريم؛ فعرض للإيجاز أولا بوصفه أبرز الأغراض، وخلص إلى أن قصد الإيجاز يرتبط ببلاغة التعبير وسموه وبمعرفة الفاعل وبكونه أقل أهمية من الحدث نفسه، وبالشرط وببيان قدرة الخالق – عز وجل– وعظمة إعجازه، ذلك انه إن تعين الفاعل وعلم أن فعلا عظيما مما لا يقدر عليه إلا هو وحده –سبحانه– كان ذكره فضلا ولغوا وحاشا للقرآن أن يكون كذلك . وقد بين البحث هذا كله مستعينا بالشواهد القرآنية الدالة. ثم انتقل لغرض العلم بالفاعل وربط ذلك بفوائد بلاغية بينها بالأدلة مثل التحقيق وهو الإعلام بتحقق وقوع الفعل للمفعول، والتقرير الذي يحمل الإنسان على الإقرار والاعتراف بأمر تأكد وقوعه وصولا إلى الإيمان بقدرة الله تعالى .وكذلك لدلالة الطلب والتشويق. ثم بين غرض تعظيم الفاعل وارتباط ذلك بقصد الإيجاز ومعرفة الفاعل ، مستنتجا أن البناء للمجهول في كل موضع من القرآن الكريم يفضي إلى موضع آخر مرتبط به، سواء أكان للعرض أم للحث أم للتحقق أم للتهديد والوعيد أم غيرها ، كما بين البحث . وعرض لغرض مناسبة ما تقدمه وخلص بالأدلة إلى أن القرآن الكريم كله مترابط ترابطا مقصودا معجزا وليس فيه صدفة ولا عبث ولا عشوائية. كما بين البحث غرض الاستعلاء على الفاعل أو تحقيره خصوصا إذا كان الفاعل ممن يكفرون بآيات الله أو يدعون القوة من دونه، أو الذين يستجيبون استجابة جزئية لأوامره سبحانه . وبين بعد ذلك غرض أن يكون الفاعل مجهولا فعلا، مستنتجا أن هذا الغرض في القرآن الكريم مرتبط بشكل من أشكال القصة القرآنية.

ثم ترك البحث الباب مفتوحا لمزيد من البحث؛ لأنني أعتقد أن الغايات كلها لا يعلمها إلا الله سبحانه وأن المعرفة الكلية محصورة في الخالق عز وجل.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

1. ابراهيم، عبد العليم : النحو الوظيفي ، دار المعارف ، مصر، ط / 5.
2. ابن الأنباري: أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجت البيطار ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ،د.ت .
3. الأنصاري ، ابن هشام : أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك (وفيه عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محي الدين عبد الحميد) دار الفكر، بيروت ،د.ت.
4. جرار، بسام:

* إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن الكريم ، نون للأبحاث والدراسات القرآنية ، رام الله، فلسطين ،ط / 1 ،1998م.

* زوال إسرائيل 2022 نبوءة أم صدف رقمية ، مكتبة البقاع الحديثة، لبنان ، ط / 2، 1996م.

* ولتعلموا عدد السنين والحساب ،نون للأبحاث والدراسات القرآنية ، رام الله ، فلسطين ،ط / 2، 1999م.

5. الجرجاني عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المراغي .
6. الجلالين؛ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي : تفسير الجلالين، تحقيق ومراجعة مصطفى الحديدي ، مكتبة مصر ،1401ه .
7. حسن ، عباس : النحو الوافي ، دار المعارف بمصر، 1975.
8. ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ،دار الكتب المصرية،د.ت.
9. الراجحي ، عبده : دروس في شرح الألفية ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،1988م.
10. الرازي، فخر الدين : التفسير الكبير ، المطبعة البهية،مصر ، د.ت .
11. الزمخشري ، جار الله : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1948م.
12. السامرائي، فاضل صالح: التعبير القرآني، جامعة بغداد وبيت الحكمة ودار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ،1987م.
13. الصابوني ، محمد علي :صفوة التفاسير ، دار التراث العربي ، القاهرة ،1993م.
14. عبد الباقي ، محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الريان للتراث ، مصر ، 1987م.
15. ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي وطه مجمد الزيني ، مراجعة محمود أمين النواوي ، مطبعة محمدعلي صبيح وأولاده ، مصر ، 1961م.
16. العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين : التبيان في إعراب القرآن ، المكتبة التوفيقية ، ط / 1، د.ت .
17. ابن كثير : تفسير ابن كثير ، دار إحياء الكتب العربية ،د.ت.
18. الهاشمي ، السيد أحمد : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، بيروت ،لبنان،د.ت .